عامان من الانتفاضة
التأثير والتأثُّر

بدخولها عامها الثالث، أنهت الانتفاضة الشعبية، في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، مراحل هامّة من تجربة عامين، خاضت، خلالهما، معارك عديدة، اكتملت صورتها النهائية مع انتهاء العام الثاني، وظهرت، بصورة أوضح، الابعاد السلبية والايجابية لعدد من المواقف، والخطوات التكتيكية، التي اعتمدتها القيادة الوطنية الموحّدة للانتفاضة خلال صراع امتد عامين، تكثّف خلالهما الصراع في صورة مواجهات جماهيرية واسعة مع قوات الاحتلال الاسرائيلية، ودخلت عمليات عصيان مدني ومقاطعة للبضائع والمنتجات الاسرائيلية، فيما أُجريت مساعٍ كثيرة لتوقيف العمّال الفلسطينيين، في فترات متقطعة، عن العمل في اسرائيل، وأخرى لتقويض أجهزة الاحتلال الاسرائيلية، العسكرية والادارية، واستبدالها بأجهزة ومؤسسات وطنية فلسطينية. وظهرت ملامح التجارب هذه، كلها، في صورة الاوضاع التي انتهت اليها الانتفاضة مع بداية عامها الثالث؛ كما ظهر، الى جانبها، مدى التأثير الذي أحدثته الانتفاضة الفلسطينية في الاوضاع الاسرائيلية عموماً، والاقتصادية منها خصوصاً؛ كذلك تأثير الانتفاضة في المؤسسة العسكرية الاسرائيلية، التي كان جنودها، وضباطها، أداة الصدام الرئيسة ضد المنتفضين الفلسطينيين في كل المعارك التي خاضوها ضد الاحتلال.

لئن مثّلت السنة الاولى من عمر الانتفاضة سنة اظهار التحدي الفلسطيني للاحتلال الاسرائيلي، بكل صوره وأشكاله، ودفع المعركة ضده نحو حدودها القصوى، باستخدام المنتفضين الفلسطينيين جميع أساليب النضال وأشكاله المتوفّرة لديهم، لاضعاف سلطة الاحتلال الاسرائيلية، تمهيداً لتفكيكها والتخلّص منها نهائياً، فقد جاءت السنة الثانية بصعوبات أكبر، في ظل استمرار الهجوم الاسرائيلي المعاكس، تحت مظلة ارهابية قمعية أكبر، ممّا رفع مستوى الخسائر من الشهداء والجرحى بين الفلسطينيين، وترك آثاراً سلبية في عدد من المواقف والخطوات التي اتخذوها، والتي لم تخل من بعض اشكال القصور الذاتي. وطبقاً لمصادر الجيش الاسرائيلي، بلغ عدد الشهداء من الفلسطينيين، خلال عامين من الانتفاضة، ٥٣٥ شهيداً، بينهم ١٦٩ مواطناً فوق سنّ الرابعة عشرة، ومئة وخمسون فارقوا الحياة نتيجة اصابتهم بعيارات بلاستيكية، في مقابل ثمانية قتلى من الجنود الاسرائيليين، وأحد عشر قتيلاً اسرائيلياً في صفوف المدنيين. أمّا عدد الجرحى، فقد بلغ ٨٩٣٨ فلسطينياً، في مقابل ١٦٣٧ جريحاً بين الجنود الاسرائيليين، و٨٠٣ جرحى من المدنيين الاسرائيليين. وتمّ، خلال عامين، اعدام ١٣٦ فلسطينياً تعاونوا مع سلطات الاحتلال الاسرائيلية، بينهم ١١٨ أعدموا خلال السنة الاولى للانتفاضة. كما احتجزت سلطات الاحتلال قرابة خمسين ألف فلسطيني، واعتقلت تسعة آلاف وضعوا رهن الحجز الاداري، وأبعدت ٥٨ شخصية فلسطينية، وهدمت ٢٤٨ منزلاً، ونسفت ١١٨ منزلاً آخر (**جيروزاليم بوست**، ١٩٨٩/١٢/٨). ودخل ما يزيد على مئة الف عامل فلسطيني، وعائلاتهم، مرحلة تميّزت بالمعاناة الشديدة في سبل تأمين لقمة عيشهم. من جهة أخرى، وبعد التقدّم الكبير الذي عرفته السنة الأولى من عمر الانتفاضة مع اعلان الاستقلال الفلسطيني، في ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨، وفتح باب الحوار الفلسطيني ـ الاميركي، بدا الطقس، في السنة الثانية من عمر الانتفاضة، اكثر تلبّداً بالغيوم. فدخل الصراع السياسي، والدبلوماسي، مرحلة أكثر تعقّداً، ولم تثمر الجهود السياسية الاّ قليلاً على هذا الصعيد (داود كتاب، «عامان من الانتفاضة»، **ميدل ايست انترناشونال**، العدد ٣٦٥، ١٥ كانون الأول ـ ديسمبر ١٩٨٩). وبدا لبعض المراقبين كأن الانتفاضة دارت دورة كاملة حول نفسها، «اذ لم يتبع منجزات السنة الاولى مكاسب ملموسة في السنة